بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 77 الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق

الدرس: تفسير القرآن الكريم المبحث: سورة الإنسان

التاريخ:06\03\2024 م كتبه: عبدالله ضيف الستري

ما زال البحث في بيان هذه النظرية الخامسة، وإنما أصرّ على التعرض لهذا البحث لأن آراء مثل هذا الشخص -للأسف- منتشرة كثيراً في العالم الإسلامي، فترى وتجد على وسائل التواصل الاجتماعي آيات آباؤنا وأجدادنا إلى أن نصل إلى زمن الصحابة، بل على تفسيرها روايات، فيؤول اللفظ على غير معناه، فصار له مؤيدون. خصوصاً في بعض الآيات التي ترتبط بالحقوق وبعض الآيات التي ترتبط بالإرث وبعض الآيات التي ترتبط بالعلاقة بين الرجل والمرأة المعبر عنها بالقيمومة، فيأتي بتفسيرات ما أنزل الله بها من سلطان، وبعض الأشخاص لا يهمهم الوسيلة، بل الذي يهمهم النتيجة.

فهذه الحملات المنتشرة في العالم كالحملات النسوية وما شابه ذلك أو الاتفاقيات الدولية مثل اتفاقية سيداو، فيتدخلون حتى في الغرف الخاصة للعلاقات الأسرية، لو رجل زوجته نائمة فقضى حاجته معها من دون أن يأخذ إجازة منها، فلو قدمت عليه شكوى ينبغي أن يدان هذا الرجل ويعاقب.

فمثل هذه الحركات يهمهم مثل هذه الأمور، فيأخذون النتيجة، أما هذه النتيجة كيف وصلنا إليها؟ هل الأدلة التي قامت عليها الصحيحة أو غير صحيحة؟ لذا لابد أن نقف عند هذه الأمور.

طبّق مسألة التنزيل والإنزال الذي فسره بأن التنزيل عبارة عن عملية نقل خارجة عن الإدراك، والإنزال عملية نقل مرتبطة بالإدراك. طبّق ذلك على مثال تكويني، وله مثال آخر؛ باعتبار يوجد تفاوت بنظره بين المثالين فلابد من ذكره.

المثال الثاني: نحن نعيش في هذه الدولة، يوجد جبل فيها معروف باسم جبل دماوند، فيريد أن يعرف الغير عليه. فالطريقة القديمة التي كانت لتعريف الغير -غير مسألة البث المباشر في مثل المباراة- فيرسم هذا الجبل على ورق كخريطة، وهو ما يعبر عنه بـ طبغرافيا، فيرسم على خريطة بتضاريسه وحدوده، ويضع مقياس لهذه الخريطة، فكل مليمتر على هذه الخريطة يعادل ألف متر في العالم الخارجي.

ثم يأخذ هذه الخريطة لذلك الشخص الذي نريد أن نعرفه عليه، والذي يعيش في بلد أخرى، والذي لم يعرف من قبل هذا الجبل، فيقرأ هذه الخريطة ويتعرف الجبل. فإذاً هناك عملية نقل، لكن لم ننقل الجبل بذاته، فالجبل ما زال فيه محله، ولم يكن عن طريق النقل المباشر.

في هذه العملية التي مرت بخطوتين:

الأولى: رفع هذا الجبل الخارجي على مخطط خريطي.

الثانية: نقل هذا المخطط وهذه الخريطة إلى ذلك الرجل الذي يريد أن يتعرف عليها، والذي يعيش في آخر بقاع العالم.

فالخطوة الأولى هي التي نسميها بالإنزال، والخطوة الثانية هي التي نسميها بالتنزيل.

فرق هذا المثال عن المثال السابق، أنه في المثال السابق التنزيل تقدم على الإنزال، التنزيل هو نقل الصورة من هذا الموجود الخارجي من هذا الملعب إلى القمر الاصطناعي، فيما تلقي الذبذبات في التلفاز من القمر الاصطناعي هذا سميناه الإنزال، فكانت التنزيل قبل الإنزال.

وفي هذا المثال الثاني، يرى أن الإنزال كان قبل التنزيل، الإنزال عبارة عن رسم مخطط هذا الجبل بطريقة طبغرافية على الورق وعلى مقياس معين؛ لأنه صار قابلاً للإدراك. ونقل هذه الخريطة إلى أقصى بقاع العالم هذه نسميها تنزيل. فكان الإنزال قبل التنزيل.

فإذاً مثل بمثالين، وفي أحد المثالين التنزيل قبل الإنزال، وفي المثال الآخر الإنزال قبل التنزيل.

لكن المشترك بينهما أنه لابد من وجود حقيقة خارجية قبل عملية التنزيل والإنزال، الحقيقة الخارجية في المثال الأول كانت تلك المباراة التي تعقد على ملعب معين، والحقيقة الخارجية قبل التنزيل والإنزال في المثال الثاني هو جبل دماوند[1].

النقطة الأخرى: نريد أن نرجع إلى التنزيل والإنزال في القرآن الكريم، الأمثلة المتقدمة كانت عبارة عن تطبيق لما ذكرناه، فهل هذا ينطبق على القرآن الكريم؟

---

[1] هو مثل بجبل قاسيون باعتباره من بلاد الشام.

قلنا في أولى النقاط أن الذي يريد أن يفرق بين لفظين متشابهين لابد أن يلحظ جميع تطبيقات هذين اللفظين، ومن تطبيقات هذين اللفظين القرآن الكريم. فهل ينطبق ما تقدم على القرآن الكريم أم لا؟

دعنا نبحث في ذات القرآن الكريم مع قطع النظر عن أم الكتاب، فهذا لها بحث خاص.

نعم في القرآن الكريم هناك حالة منفصلة عن حالة أخرى، إحدى الحالتين تسمى تنزيلاً والأخرى تسمى إنزالاً. وبما أننا فرغنا في المثالين السابقين عن أن الشيء الذي نريد أن ننقله لابد أن يكون له وجود خارجي، وفي عملية النقل لا تنقله بنفسه، والذي نشاهده الآن بالبث المباشر هو صورة وليس هو عين الموجود الخارجي، والخريطة التي نشاهدها الآن ليست هي جبل دماوند وإنما هي صورة رمزية لجبل دماوند.

فإذاً قبل التنزيل والإنزال لا بد أن يكون للقرآن حقيقة خارجية ننقلها بالتنزيل والإنزال، ويكون ما ننقله مغايراً لتلك الحقيقة الخارجية؛ تطبيقاً لما ذكرناه سابقاً.

من هنا يتضح لنا أن أسباب النزول التي عقدت لها بحوث طويلة في كتب التفسير وفي علوم القرآن وشغلت بال المحدثين، فإن أسباب النزول لا دخالة لها في التنزيل والإنزال؛ فإنه سواء يوجد سبب أو لا يوجد سبب فإن تنزيل القرآن الكريم على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله أمر حتمي، سواء سئل عن شيء أم لم يُسأل عن شيء، فتنزيله أمر حتمي لا ربط له بسؤال السائل حتى يكون هو سبب التنزيل.

لذا القرآن الكريم عبّر عن الأشياء الغيبية التي يتكلم عنها القرآن بقوله تعالى: ﴿لا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُم﴾[2] لأجل سؤالكم يحصل التنزيل، بل هي موجودة، فأنتم لا تسألوا عنها، فنحن في الوقت المناسب ننقلها إليكم.

فمن هنا يطرح هذا السؤال بالضرورة، إذا كان القرآن الكريم موجوداً قبل التنزيل والإنزال -بمقتضى ما ذكرناه سابقاً- فما هو مقتضى هذا الوجود وبأي صورة كان؟

ففي مثال كرة القدم واضح وكذلك في مثال الجبل، في القرآن الكريم التنزيل والإنزال معناهما النقل، أي: ينقل شيئاً له وجود، وهذا الوجود للقرآن الكريم كيف كان؟ هل كان بعين هذه الألفاظ؟ هل

[2] المائدة: 101.

كان بلسان عربي؟ فالله سبحانه وتعالى قبل أن يوصل القرآن إلينا كان عربياً أم له وجود آخر يعبر عنه القرآن الكريم بالإمام المبين وبالكتاب المكنون وما شابه ذلك؟

فيرى أن كلام الله سبحانه وتعالى هو عين الموجودات ونواميسها العامة التي تحكم الوجود، خزّنت بشكل ما في اللوح المحفوظ وفي الكتاب المكنون وفي الإمام المبين كما عبرت جملة من الآيات عن ذلك.

لكن غاية الأمر، قد يكون يوجد اختلاف بين هذه المصطلحات، ففي الكتاب المكنون يوجد البرنامج العام للكون، وفي اللوح المحفوظ يوجد هذا البرنامج في طور العمل، وفي الإمام المبين يوجد قوانين الطبيعة الجزئية التي يتم التصريف من خلالها وأحداث التاريخ بعد وقوعه.

فإذاً هناك موجود قبل عملية النقل، هذا نريد أن ننقله إلى الناس.

لكن هذه الموجودات قبل النقل كانت في علم الله سبحانه وتعالى، وعلم الله تبارك وتعالى هو أعلى العلوم المجردة، وأعلى العلوم المجردة هو الرياضيات، فهذا يعني أن القرآن الكريم له خوارزميات[3] لا يعرفها أحد في عملية التنزيل والإنزال بدّلها إلى لسان عربي مبين.

فنشبهها بما يسمى الآن بالباركود، فهو عبارة عن نقوش رمزية، الجهاز يأخذ صورة عنها فينقلها إلى جهاز الكمبيوتر، فيقرأها الكمبيوتر بأرقام، فهذه الأرقام لم تكن موجودة في هذه الصورة.

فبناء على ذلك، بما أن أعلى العلوم التجريدية هي الرياضيات، فيكون علم الله سبحانه وتعالى بالموجودات علم كمي بحت؛ لأن العدد هو الكم، والرياضيات موضوعه العدد. فالإحصاء يرجع إلى التعقل.

ولذا في القرآن الكريم ورد التعبير بالحساب وبالعدد وبقوله ﴿سريع الحساب﴾ وما شابه ذلك.

---

[3] هذا التعبير مني، ولكن هذا هو مقصوده.